النزعة الإنسانية في روايات الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوي:

"Humanism in the novels of the great writer Abdel Rahman Al-Sharqawi"

DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.15223488

Dr. Shaja Ud Din

Abstract

Abdel Rahman Al-Sharqawi presented moral values and the importance of humanity in his novels, reflecting the circumstances of his time. In his novel, "The Land and the Peasant," he raised his voice against the work of the peasant class and their right to their wages. He also raised his voice against the authorities for not granting them their rights.

The most important influential factor presented by Abdel Rahman Al-Sharqawi in his novels is his humanism. He presents moral values regarding the importance and value of humanity in life throughout his novels, defending rights and truth, humanity, and the Egyptian character.

Abdel Rahman Al-Sharqawi addressed most social topics and addressed people's concerns and problems. The importance of this topic, I have chosen topic about: "Humanism in the novels of the great writer Abdel Rahman Al-Sharqawi"

Keywords:*shjsjjs, Humanism,novels ,great , Abdel Rahman Al-Sharqawi*

أولاً، أتحدث عن مفهوم الإنسانية في الرواية العربية. ثم أوضح الاتجاه الإنساني في روايات عبد الرحمن الشرقاوي."وقد تطورت فكرة النزعة الانسانية كثرا، من عصر النهضة الى التنوير الى القرن التاسع عشر الى القرن العشرين، حتى صارت اتجاها متبلور ا بيّن الافكار والادوات، وصارت تمثل رؤية فلسفية مستقلة بذاتها، وإنما هي طريقة في التفكير والعمل تمكن الإنسان العادي من أن يحيا حياة سعيدة ومثمرة، وهي تهتم بكل جوانب الطبيعة الإنسانية" العقلية والشعورية والجمالية والحسية، وما يترب عليها من احتياجات ومواقف"[1]، "حتى اكتمل التصور الفكري للنزعة الانسانية وصارت — في القرن العشرين- تعنى تلك المرتكزات المفهومية التى تنبني على افكار مهمة هي: إنّ محور الاهتمام هو الانسان، وخبرته الانسانية، وان الفرد الانساني ذو قيمة انسانية في حد ذاته، وانه مصدر كل القيم، واعطاء قيمة كبرى للأفكار،وهذه لا تتكون بمعزل عن سياقها الاجتماعي والتاريخي، ولا يمكن ان تختزل لتصبح مجرد عقلنة للمصالح الطبقية او الاقتصادية وغيرها"[2]، حتى صار القرن العشرين هو عصر العناية بالإنسان وهمومه وافكاره ومشكلاته واتجاهاته الانسانية والوجدانية.

.....

**PhD at the NUML, Islamabad*

مفهوم النزعة الانسانية:

وقد استقر مفهوم"النزعة الانسانية، وتبين عن المتخصصين" بأنها مركزية إنسانية متروية، تنطلق من معرفة الإنسان، وموضوعها تقويم الإنسان وتقييمه واستبعاد كل ما من شأنه تغريبه عن ذاته، سواء بأخضاعه لقوى خارقة للطبيعة البشرية، أم بتشويهه من خلال الستعماله استعمالا دونياً، دون الطبيعة البشرية[3].

ويقوم هذا الأدب على مبادئ بينة مهمة هي "ان الادب العظيم يحتفظ بقيمته عبر الزمان والمكان، وان النص الادبي يحمل معناه في داخله، وان الطريقة المثلى للتعامل مع النص الادبي هي قراءاته وتحليله من دون افكار مسبقة، اوتحيزات فنية او أيديولوجية، وان النص الادبي يشتمل على حقائق انسانية خالدة، ويستطيع ان يخاطب الحقائق الجوهرية التي تعرفها الروح والنفس ، وان غاية الادب هي تنمية الحياة البشرية ونشر القيم الانسانية النبيلة[4]".

لقد سخّر الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوي فكره من أجل الفلاح ومن أجل الدفاع عن حقوقه التي سُلبت، فكان منحازا للطبقة التي ينتمي إليها وأيضاً يعد الشرقاوي أول من جعل الفلاح المصري ناطقا في الروايات العربية، لذلك رواية الأرض جاءت في النصف الأول من القرن الماضي لتتناول موضوع الريف المصري بالتحديد بكل تفاصيله وأسلوب المعيشة فيه، وعلاقة الناس مع بعضهم في الريف، ومواقفهم تجاه حكومة مستبدة، ومدى تعلّق الفلاح بأرضه، لأن وجودها هو استمرار لوجوده وعبد الهادي نموذج للإنسان المتفاعل مع أهل قريته والمشارك في صراعتها، للتغلب على الصعاب والوصول إلى حقوقهم المسلوبة، هذا النموذج يُسهم في مصالح القرية واستمرارية الكفاح للتغلب على الظلم والقهر.

إن عبد الهادي مثال للإنسان الذي يتحدى كل وسائل القمع ويحاول تخطّيها ممارسا حياته بمفهوم الفروسية التي سيطرت على المجتمع المصري القروي حينها.

استطاع الكاتب من خلال روايته أن يترجم الحس الإنساني حيث استلهم مادته وموضوعه من الحياة العامة للشعب ومن مشاكله متناولاً قضايا المجتمع من بؤس وقهر وجوع فكانت الشخصيات ذات ذاكرة متيقظة بالإحساس بالمسؤولية تجاه كل ما يحدث.

وصور الكاتب نماذج العديدة في مجال النزعة الإنسانية خلال الرويات:

الاتجاه النزعة الإنسانية في روايات عبد الرحمن الشرقاوي

شخصية عبد الهادي

بطل الرواية وهو فلاح مثقف يقرأ العديد من الكتب، كالمواويل وكتاب ألف ليلة وليلة، يقضي معظم وقته بغناء المواويل التي تتحدث عن أبطال الحب والحياة، [5] كما أنه من أشجع الرجال في القرية، ذو جسد قوي وفتي، وقلب جاسر، يتميز بالثبات والصلابة، ومصدر كل هذه الميزات فيه هي الأرض التي

يملكها التي تبعث فيه الإحساس بالشرف والثبات والرسوخ مع أنه يملك فداناً واحداً من الأرض، وهذا يجعله ذو مكانة خاصة جداً في القرية التي يعيش فيها، كما يُسمح له الجلوس على مقهى الخواجة الأرمني، حيث يجلس هناك عمدة البلدة والكبار.[6]

يشعر دائما بالقوة، هذه القوة التي لا يعرفها أخوه الموظف في مدينة الحكومة، وبما أن هذه الأرض هي أساس صلابته وثباته وقوته، فإنه يثور وينتفض مسرعاً عند حدوث أي اعتداء عليها للدفاع عنها، والمحافظة عليها، كما أن عبد الهادي يرى أن أفضل وسيلة لمقاومة الاعتداء على أرضه هو المواجهة المباشرة، حيث إنه يرفض تماما أساليب الشكاوي والذي يساعده في ذلك هو قوة بدنه، وجرأة قلبه، وفصاحة لسانه، وهو يرفض تماما سلبية بعض الأهالي في القرية في مواجهة أعدائها، فعندما طلب منهم الشيخ الشناوي قراءة القرارات التي تخص تقليل المدة المسموحة بالريّ، حيث غضب وثار وطلب حل قاطع ونهائي مع الأخذ بأسباب المواجهة الفعالة، كما أنه يرفض ما يفسره الشيخ بأن نقص المياه في القرية في دورة الري يعود لإهمالهم وتهاونهم في الصلاة والزكاة وطاعة الله.[7]

محمد أبو سويلم

جسدت هذه الشخصية نموذج الفلاح الثوري، حين قامت حكومة (صدقي) بفصله من عمله لأنه رفض طلب المأمور له بإحضار الناس بالإكراه إلى صناديق الانتخابات، كما أنه وجدهم يجمعون أصواتا للموتى فتشاجر معهم وفصلوه من عمله، تاريخه كان مشرّفا بالكفاح الوطني، حيث شارك في حروب الشام مما زاده صموداً وقوة لمقاومة الاحتلال في ثورتهم ضد الإنجليز، وهو مثال للإنسان الثوري الذي يحاول السير بأهل قريته لمواجهة الظلم ومقاومته من خلال الأعمال الجماعية المشتركة لتغيير الواقع الذي يعيشون فيه.

وهناك شخصية رجل الدين، حيث تحدث الكاتب في روايته عن الأشخاص الذين ينتهجون التدين لمصالحهم الشخصية، ومثل هذا النموذج للشيخ الشناوي، مفتي القرية، وخطيب المسجد فيها، ليس لديه في القرية لا أرض ولا جذر، أفكاره جامدة، فهو يقرأ خطبه من كتاب أصفر قديم، ومواعظه عفا عليها الزمن، فعندما تكون أيام الري قليلة يطلب من الناس قراءة سورة ياسين على من قام بتقصير مواعيد الري حتى ينتقم الله منه، كما أنه يعتقد أن أهل القرية حرموا من الماء بينما يتنعم به الباشا لأنه يؤدي الزكاة، والقرية تمنع الزكاة، وعندما سقطت جاموسة مسعود في البئر طلب من بعض الواقفين قراءة سورة الفاتحة لإنقاذها، ويخضع هذا الشيخ لأهل السلطة ويقف معهم ضد أبناء قريته، ويكون من أوائل المدافعين عن أفعالهم، وكأنه ذيل لرجال السلطة، يأخذ أختام الفلاحين على عريضة دون

السماح لهم بقراءتها، كما أنه يشتم من يحاول قراءتها، فليس لديه أدنى تفكير بما ينفذه من طلبات الحكومة، وهذا هو مثال الرجل المتدين الذي باع دينه بدنياه.

فالقارئ والمتتبع لشخصية رجل الدين في هذه الرواية يعرف أنه لا علاقة لها بالدين، فالإنسان المتدين يتمتع بتعاليم الدين في الظاهر والباطن دون أي تحريف، وهذا المنهج الذي اتبعه الكاتب في الرواية عبر تقديم شخصية رجل الدين، يعبر عن رؤيته لتجديد مفاهيم الدين لهذا المجتمع بدلاً من الخطابات الدينية النابعة من تراث شعبه غير الواعي، وآراء مصلحتهم للاستيلاء على السلطة والوصول إليها.

من خلال ما سبق نجد أن نماذج أصحاب السلطة وأعوانهم لديهم مساحة من النفوذ لا يستطيع أحد أن يضع قدمه فيها، ولديهم من القوة لتي يجتاز ضررها الفرد أو الجماعة ليصل إلى القرية أو البلاد بأسرها، وهذه الفئة في حالة صراع مستمر مع كل من يخالفها الرأي أو يقف أمام مطامعها، وهي تمثل قوى الشر التي تجاوزت مرحلة الضرر والصراع، إلى مرحلة السيطرة على مقدرات البلاد.

بالنسبة لرجل الدين فهو الذي يستغل الدين للسيطرة على الناس البسطاء وهو بعيد كل البعد عن الوعظ الديني، ويتصف بالطمع والنفاق والرشوة والابتعاد عن الحياة التقية الورعة، وهذا ما أزال هيبته ووقاره عند الناس.

ناظر المدرسة (الشيخ حسونة)

هو إنسان مثقف واعي، فقد درس في الأزهر وله تاريخ كبير في الثورة ضد الإنجليز، ففي سنة 1919 كان من المشاركين في التظاهرات ضد الإنجليز، فهو رافض للظلم، يتمتع بالشجاعة وحريص على مواجهة كل أشكال الظلم، فعندما بدأت حكومة حزب الشعب انتخاباتها غير النزيهة طلب من أهل القرية مقاطعة الانتخابات وبسبب مواقفه الجريئة ضد الحكومة الفاسدة يتعرض للظلم دائما، ويتم نقله إلى بلد آخر بعيد عن قريته، أيضا تدخل في حل مشكلة مشروع الزراعية التي تشق أرض الفلاحين، فواجه المشكلة بإيجابية، وذهب إلى العاصمة لمشاركة المسؤولين وأصدقاء الرأي لإرسال برقية إلى صحف المعارضة، وقام الشيخ حسونة بجمع المال اللازم وأرسل باسم أهل القرية برقية إلى وزير الحقانية والنائب العام يطلب منهم التحقيق في قضية القبض على رجال القرية وزجهم في السجن.

قاضٍ

جاءت شخصية القاضي في الرواية لتجسد الرجل العادل المدافع عن الحق، يكشف استبداد الباشا وظلمه للفلاحين، والاستيلاء على أرضهم.

أما ميمى في رواية"الشوارع الخلفية" فهى زوجة شابة جميلة غير متوافقة مع زوجها، ولكنها لا تهونه على الرغم من وقوفها على عتبات الخيانة.

"وعديلة" تثير الشكوك بسلوكها في نفس ابنها، ويتسبب امتناعنا الجنسى على زوجها في مأساة الخادمة"الطاف".

أما"أنيسة" فزوجة نموذجة تقاوم غياب زوجها المعتقل وتصد الطامعين فيها ببسالة.

وتبقى زوجة الضباط شكرى عبد العال حاضرة غائبة:حاضرة بتأثيرها على حياة زوجها الذى يعانى الحرمان، وغائبة بالموت.

ميمى:

يقترن الظهور الأول ل"ميمى" من منظور الضابط شكرى عبد العال.. بمزيج من الإعجاب بجمالها والاحتقار لزوجها:

"الله يلعنك يا أمين ويلعن طمعك.. والله خسارة فيك مراتك ميمى.. دى لسه صغيرة واللى بقدها بيلعبوا النطة في الشوارع.. حايعلمها الطمع وفراغة العين"[8].

وتمتد هذه الثنائية طوال الرواية لتشكل رؤية الجميع "لميمى" "وزوجها":

الزوجة الجميلة الشابة والزوج الضعيف لمتخاذل الذى"يترك وزوجته تقف في الشرفة بقميص يكشف عن ذراعيها ونحرها ولا تختشى.. والحمار يقف جنبها أحيانا وحوله جيران.

طلبة عزاب يكلمهم ويرك "ميمى" تدخل في الكلام!جحش حقيقى أمين أفندى هذا!" [9]

ويصل استهتار "أمين" إلى الدرجة التى لا تجعله يبالى برؤية الآخرين لأخص خصوصياته:

الشباك الداخلى لحجرة نومك يطل على منور يطل عليه شباك مقابل من شقة أولاد"الحاج خليفة" يا أمين اقفل شباكك واستمر نفسك في الصيف، فأنت تلقى بأسرارك مع أمرأتك على الأولاد من هذا الشباك!. مصيبة والله.. إنهم يرونها أحيانا في فراش الزوجية!"[10].

ويقدم طالب الحقوق"عبد اللطيف خليفة صياغة ساخرة- وصادفة- للعلاقة الغريبة غير المتكافئة بين الزوجين"أنا مش فاهم واحدة مثقة وبتقرار زى ميمى دى عايشة معاه إزارى.. ده ما يعرفش حاجة أبدا غير الأكل والنوم! ويوم ما يفكر قوى يفكر في المرتب بعد المعاش!"

ويعلن شقيقه الأكبر" عبد العزيز" ، طالب نهائى الطب، مشككا بضحكة ذات مغزى خاص تحمل إشارة جنسية واضحة:لا.. دا هو يعرف في الأكل بس.. ايش عرفك إنه بيعرف في النوم"[11].

ولا يتورع أمين أفندى عن الدفع بزوجته إلى رجال أغراب لتتوسط عندهم في علاج بعض مشاكله دون إدراك لخطورة ما يدفعها إليه:

كل ما تملكه من وسيلة لدفع الخطر عن نفسك يا أمين هو أن تضغط على زوجتك ميمى وترسلها إلى

أدهم بك باشكاتب الدائرة مع إنها استصر ختك مائة مرة لأنه يغازلها"[12].

ولا تختلف علاقة عديلة مع زوجها"داود" عن علاقة ميمى مع زوجة أمين. وإن "عديلة"لا تتردد في

تسمية زوجها "بالمغفل""!"[13].

ولا يقتصر إطلاق هذا اللقب على "عديلة" وحدها، فمعظم سكان الشارع يصفون داود أفندى باللقب نفسه!وهى تخاطبه أحيانا كطفل يستحق التقريع:

"شايف بليت نفسك إزارى زى العيال الصغيرين"[14].

ولكن ما يميز "عديلة" أنها أكثر صراحة من "ميمى" ومثيرة للشبهات أكثر منها أيضا.

وإن "سعد" يتذكر ما سمعه مجلس أمه وهو طفل عن الفرق بين الزوج المصرى والزوج التركى. كان "سعد" وقتها صغيرا في العاشرة، وأصغر من أن يفهم مثل هذالكلام، ولكنه مع ذلك أوشك أن يبكى، لأنه سمع بأبيه وتقول عنه:إنه رجل كامل ولكنه.. جلف، كيف يعامل الست"[15].

ويبدو سعد كثير الشك في أمه وسلوكها، وبخاصة تلك العلاقة المريبة غير المريحة مع الباشكاتب المتصابى "أدهم بك" لكم تبدو أمه صغيرة خفيفة وهى تتحدث مع قريبها" أدهم بك" باشكاتب الدائرة المصبوغ الشعر الزئغ النظرات!.. أدهم بك!.. إنها تستحق القتل هذه المرأة!!"[16].

وإذا كانت "عديلة" تصف زوجها بالجلافة الجنسية، وسعد يتهم أمه بسوء السلوك الذى يستحق القتل، فأن "أم عديلة" ترد توتر ابنتها وعصبيتها إلى مشكلة جنسية مع زوجها!:

"اقتربت من ابنتها "عديلة" وهى تخفى ضحكة.. وجرتها بعيدا عن الأولاد وهمست في أذنها:

– هو ياختى لفندى بعافية اليومين دول ولا إيه؟

...أنت حتى بقى لك تلات أربع جمع ما بتستحميش معاه!"[17].

إن سلوك "عديلة" يتسم بالعجرفة في معاملة زوجها، وهى عجرفة تدفعها إلى مقاطعة جنسية تسبب الحرمان" لداود أفندى"، الحرمان الذى يقوده إلى الارتما في أحصان خادمة في سن أولاده" جاءها ذات ليلة قبل الموت"سعد" بشهر، وهو أيامها دائم الشجار مع زوجته "عديلة هانم" لم يقربها منذ أربعين يوما.وقبل أ، يموت سعد بليلتين هاجمها في المطبخ.. وفي تلك الليلة دخل المطبخ وفتح النور"[18].

إن مأساة "الطاف" مسئولية "عديلة" التى أهملت زوجها ودفعتها إلى إفساد حياته وحياة الخادمة بقدر ما عكرت حياة الابن الوحيد قبل أن يستشهد في مظاهرة وطنية.

ولعل أنيسة هى أقل زوجات "الشوارع الخلفية"إثارة للمشاركين كل وأقلهن تسببا في المشاجرات والمشاحنات، وهى الأكثر التزاما ووداعة وخلقا."إنها تثير الإعجاب بهدوئها وحشمتها، على الرغم من جمالها الملحوظ وحيائها الشديد وطاقة الأمومة التى تتفجر منها"[19].

وعلى الرغم من أن أنيسة تعانى من القم، فإنها لا تتعرض لمشاكل جنسية إلا بعد أعتقال زوجها"عبد المعبود" بسبب نشاط الوطنى، وتأتى هذا المتاعب من الضابط الوطنى"شكرى عبد العال" الذى نعانى

حرمانا يدفعة إلى اشتهاء معظم نساء الشارع ومنهن أنيسة. ولكن أنيسة تبدو قوية متنمرة تدافع عن شرفها بصلابة دون أن تتخلى عن أدبها وهدوئها، دون أن تفقد قدرتها على التسامح تلك القدرة التى تجعلها تلح على ابنة"شكرى" بالسرعة في تزويج أبيها:

-"لا يا أختى.. أبوك ده مالوش قعاد من غير جواز أبدا"[20].

على الرغم من غيابها بالموت، وعلى الرغم من أنها لا تحمل اسما، فإن زوجة الضابط شكرى عبد العال تؤثر- ولسنوات طويلة بعد موتها- في حياة زوجها بشكل عام وفي حياته الجنسية بشكل خاص. إن شكرى عبد العال لا يفعل أبدا ما يثير شك أحد، "وهو منذ ماتت زوجته، مقتصر، في حالة.. لم يعرف عنه في الشارع أن عينه زاغت إلى أمرأة"[21].

قد يكون هذا ما يعرفه الشارع وساكنوه، ولكن ما يدور داخلة شئ آخر. إنه ينبهر بجمال"ميمى" فيحن إلى زوجته:وطاقت برأسه ذكرى عابرة مت زوجته المرحومة.. وتنهد"[22].

وهو يجد في حياة الأرملة"سعاد" ما يمثل حياته، فكلاهما معرض للحرمان من أجل الأولاد وعلى حساب احتياجاته العاطفية"لكم تضحى من أجل ابنتها وابنها هذه المسكينة الحسناء الشابة مثلك تماما يا شكرى: تقاوم الطبيعة والغريزة وكل شئ لكى لا تكسر خاطر الأولاد"[23].

ويصل الضعف ب"شكرى" إلى منتهاه في اشتهائه ل "أنيسة" أثناء اعتقال زوجها صاحب المطبعة على الرغم مما بينهما من صداقة:

وفتحت عينيها كالمجنونه فوجدت شئا كاللهب يضطرم في وجه شكرى وهو يتقدم منها بإصرار هذه الرجل الذى أحبه زوجها أكثر من أى رجل آخر.لم يكن شكرى يقول شيئا.. ولكن نظراته تريد أن تنتزع ثيابها على الرغم منها"[24].

وحصلنا نتيجة ربما كان الفعل كله للضابط شكرى عبد العال، ولكن السبب الحقيقى الذى يفسر هذه الأفعال كامن في زوجته الغائبه الحاضرة. تغيب زوجة شكرى ولا يزول تأثيرها، فحرمان الزوج – الحى نتيجة منطفية لغياب الزوجة- الميته، ونهاية حرمانه الطويل لا تتحقق إلا مع بداية حياة جديدة مع زوجة أخرى تنسه الحرمان والزوجة القديمة معا.

منحت هذه الأحاسيس لغياب زوجته النزعة الانسانية في ذكريات زوجته.

وفي رواية "الأرض" ينشغل الشرقاوي وأبطاله، رجال ونساء، بالصراعات السياسية والقضايا الاجتماعية الساخته التى تتراجع معها-وإن لم تختف-الهموم العاطفية والزوجية- ولعل أكثر مايثير الاهتمام في "الأرض" متعلقا بالزاوية التى نتعرض لها، ذلك الوصف المسهب الحى الذى تقدمه لليلة الزفاف الريفية في نهاية العشرينيات، من خلال فرح الابنة الكبرى"لمحمد أبو سويلم" التى تستدعية شقيقتها الصغرى"وصيفة" وتحكيه لاقران طفولبها.العروس فلاحة، ولعريس من القرية ومقيم في البندر،

والتفاصيل المقدممة في الرواية تعبر عن بدايات الصراع بين التقاليد المرعية المستقرة، والأفكار الجديدة التى يتاثر المقيمون في البندر:

"أحتها دخلت إلى القاعة معها الداية كما تدخل العرائس، وتسللت وصيفة ومعها خضرة إلى قاعة العروسة.وانتظر الجميع العريس.ودخل العريس يلبس جلبابا من حرير القز وطربوشا فاقعا مائلا على جبينه.ولم يكن معه المنديل الأبيض الذى يدخل به كل عريس. وإذا وجد العريس قاعته مزدحمة بالداية وأم العروس والصغيرات، وقف في وسط القاعة غاضبا وطرد الجميع وأصر أن يبقى وحيدا مع عروسه. وخرجت الداية تلطم على وجهها تروى لشيخ الخفراء- والد العروس- عن بدع عريس البندر ..ودخل أبو سويلم غاضبا إلى القاعة وضرب العريس بالكف على صدغه، وطلب منه أن يدخل على ابنته العروس كما يدخل كل العرسان على البنات الشريفات في القرية وبعد قليل دخلت الداية ولف العريس حول أصابعه منديلا أبيض، وتسللت وصيفة وخضرة إلى الحجرة من جديد ومضت وصيفة تروى كل شئ منذ صرخت أختها، حتى انطلقت الزغاريد، عندما رمى على الواقفين أمام قاعة العروسين منديلا أبيض عليه نقطة من الدم، ومضى الرجال في طرقات القرية يحملون على أطراف الشماريخ مناديل بيضاء، تملأها بقع دم قائم يزعقون:

الحلو أهله، ومن ورائهم حلقات نساء يرقصن ويصفقن بأيديهن المرفوعة، ورؤسهن مائلة وهن يغنين في نغم سريع:"قولوا لابوها إن كان جعان يتعشى

"بنت الأكابر شرفتنا الليلة لم تترك وصيفة من القصة شيئا[25].

إن وصف التقاليد الخاصة بليلة الزفاف الريفية تأتى على لسان طفلة شهدت الوقائع بعينها، وهذه المشاهد هى بداية وعيها بالحياة الزوجية وارتباطها بالجنس الذى يتمافتتاحه بشكل علنى عنيف فج بدعوة المحافظة على الشرف واعتراض العريس على هذه الطقوس يدفع الداية إلى الصراخ احتجاجا على البدعة التى جاءبها من البندر، ويؤدى إلى صفعة من والد العروس الذى يرى في اعتراضه تعريضا بشرف ابنته وتشكيكا فيه.

وإذا كان الغناء الشعبى الجماعى يجسد تراث القرية المصرية في مفهومها للشرف، فأن هذا التراث نفسه يحفل بوقائع أخرى ترتبط بالعلاقة بين الزواج والجنس.

لقد تعرض العريس السابق لأزمة جنسية لم ينقذه منها إلا صديقه"عبد الهادى" الذى عنى في أول أيام زواج صديقة ياسحضار"حجاب من أحد العارفين المقيمين في قرية مجاورة ليعصمه الحجاب السحر الذى ينفشه الحساد في مخادع الجدد.. وحل الحجاب عقدة الزواج الجديد بالفعل، وسافر بزوجته سعيدا إلى البندر"[26].

ولا تخلو رواية"الأرض" من زوجة تعانى، بالتلميح والإيحاء وليس بالتصريح المتاشر من أزمة جنسية زوجية نتيج للخيال فرصة التفكير في فارق السن الكبير بين طرفى العلاقة.

الزوج هو العمدة الذى يقترب من الثمانين، والزوجة شابة سمينة تصغره بكثير ولأن عبد العاطى هو أقرب الخفراء إلى قلب العمدة، فأنه يعرف عنه الكثير الذى يجعله يؤكد لنفسه "أن العمدة شاخ وخرف وأتعبته السمينة البيضاء وأصبح يقول كلاما غير معقول"[27].

وفي مقابل تعب العمدة وشيخوخته وتخريفه، تظهر الزوجة مليئة بالحيوية والشباب وتعنى حركتها ونظراتها عن المباشرة.

"وهزت رأسها وتحسست وجهها، وهبطت يدها على ذقها ونحرها وصدرها وانحرفت إلى داخل الدار"[28].

نجد ان الشرقاوي لا يهتم بتفاصيل العلاقة، ولكنه يوحى بطبيعتها من خلال تجسيده لطبيعة طرفيها!.

اما في رواية "قلوب خالية" تظهر زوجات مستهترات ومتسلطات، وأبرزهن في السياق الذى يعنينا امرأة عامل التليفون التى لا تحمل اسما.

"إنّها زوجة جميلة تتكلم عنها"أم سعيد الداية" ذات السمعة السيئة في تهيئة اللقاءات، وتتحدث عن علاقاتها المتعثرة بزوجها، ولكن أحدا لم يطلها لا قبل الزواج ولا بعده هي مغلقة على نفسها"[29]

وعلى الرغم من هذا "الانغلاق" الذى يوحى بالتزامها الأخلاقى وسمعتها الحسنة، فإنها تخوض مغامرة جنسية مع أبى زيد الشباب الجامعى طالب الهندسة ولا تستمر العلاقة بعد قرار أبى زيد- وليس قرارها- بأنه لن يذهب لها ولن يلقاها. ويفشل الراوى أن يمارس دور صديقه عندما يذهب إليها بدلا منه:

"وعندما رأتنى ذعرت! وأخبرتها أن أبا زيد يجئ الليلة ولا أية ليلة أخرى..وحاولت أن أغازلها ولكنها انتفضت في رعب وانفضت على كأنها تريد أن تحطم الدنيا فوق رأسى..وكأن قوة جيش بأسرة انفجرت من بدنها الرقيقة.. ودفعتنى بعنف هائل وهى تقول لى إنها ليست من صنف البنات الذى تجلبه الداية"أم سعيد" ولكنها تحب أبو زيد من قبل الزواج وإن كانت لم تكلمه أبدا وسمعتها تبكى وتلعن زوجها وأهلها والناس وانصرفت وهى تلعننى بكلمات لها طعم الدموع"[30].

إنّ زوجة عامل التليفون ليست "متاحة" للجميع، ليست امرأة "سهلة المنال"، واندفاعها في المغامرات الجنسية مع أبى زيد نابع من الحب نابع من الحب وليس نتيجة استعدادها لممارسة الخيانة الزوجية.

وإذا لم يكن حبها لأبى زيد مسببا مقنعا للخيانة، فإن أزمتها الجنسية مع زوجها تصلح مبررا:

"يعرف الناس أن زوجها لم يمسسها منذ عام"[31].

هجران الزوج لا يغفر للزوجة خيانتها، ولكن يبرره ويوضح أسبابه ويدفع إلى مزيج من الأدانة والإشفاق!

وعلى الرغم من أن المناخ يبدو مهيأ لميمى في رواية "الشوارع الخلفية" للخيانة، بإنها لاتخون زوجها.قد تضعف أحيانا، ولكنها تقاوم دائما.

إنّ ميمى تضعف"نظريا"و"عمليا" الضعف النظرى مع الضباط شكرى، والضعف العملى مع الطالب عبد اللطيف.

تضعب ميمى وتستسلم"نظريا" أمام نظرات الحرمان التى تطل من عيون الضباط شكرى الذى تناديه قائلة:

"عمى شكرى بك. لو أنه كان غازلها الآن بالذات لما صدته، ولتركت نفسها له على الرغم من أنها لم تشعر بمثل هذا مع أحد من قبل بل ظلت تصد كل الرجال"[32].

وإذا لم يكن شكرى قد حاول مغازلتها، فأن عبد اللطيف حاول.وإذا كانت قد استسلمت بخيالها لشكرى، فأنها قد أوشكت أن تستسلم تجسدها لعبد اللطيف لولا إخلاصها لزوجها وشرفها:[33]

"وأوشك أن يحتضنها فوجد شفتيها تختلجان، وهمست والدموع في وجهها المروع:

حرام يا عبد اللطيف.. حرام نعمل كده في أمين، ثم تخاذلت أمامه متهالكة، فابتعد هو عنها والخجل يكاد يخنقه".

إذا كانت"ميمى" قد نجحت فى المقاومة، فإن مرد هذا النجاح إلى قوتها وصلابتها وإخلاصها وليس إلى الزوج الذى يهيئ لها- بتفاهته وابتذاله- طريق السقوط والخيانة.

يصور لنا الكاتب هنا موقف الشيخ طلبة الذي طالما وقف في صف الإقطاع فهو أعتاد على هذا الحال منذ زمن طويل، وفي نظره دائما المشرف الزراعي ورزق بيك على حق، حتى ما يقدمونه للقرية يعتبره إحسان لا تستحقه القرية على الرغم من أنهم لا يقدموا للناس إلا جزء من حقوقهم.

جعل الكاتب من النهاية خلاصا رواية الفلاح لأهل القرية والمظلومين، مؤكدا أن لكل ظالم نهاية، والحق سينتصر بالتأكيد مهما استبد الظالم، فالحقيقة تبقى واضحة بالرغم من محاولات أعداء الحرية تزييفها. وهكذا لكل كربة فرج يتبعها، ولكل ليل فجر مشرق جديد. فلن يستمر الظلم الى الأبد الشيء الخالد هو الحق، والباطل هو الزائل وصدق من قال إن الظلم ساعة والعدل الى قيام الساعة.. كم من الطغاة ظنوا أن الدنيا قد دانت لهم ووجدوا في الظلم متعة وفي الطغيان والجبروت لذة وفي افقار الناس وتجويعهم واستعبادهم نشوة وفي ترويعهم وتخويفهم تسلية فاستيقظوا ذات يوم فوجدوا اعناقهم تحت اقدام الذين ظلموهم واذلوهم وخوفوهم واستعبدوهم، فمهما طال الظلم فلا بد من زواله و مهما يئس المظلوم

فليتذكر ان الله معه في محنته و سيرد له حقه سواء في الدنيا أو الاخرة.

الحواشى

[1]النزعة الانسانية، دراسات في النزعة الانسانية في الفكر العربي الوسيط، تحرير:عاطف احمد، مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان، القاهرة، ظ2 ، 1999 ، 60.

[2]النزعة الانسانية، دراسات في النزعة الانسانية في الفكر العربي الوسيط، ص:35.

[3]موسوعات لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب، خليل أحمد خليل، منشوارات عويدات، بيروت- باريس، ط1، 1996، المجلد2، 569.

[4]النزعة الانسانية في الرواية العربية وبنات جنسها، بهاء الدين محمد مزيد، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، الاسكندرية، 2008 ، 54-55-56.

[5]رواية الأرض- ص:23-44

[6]المصدر السابق- ص:49 وما بعدها.

[7]المصدر السابق- ص:63 وما بعدها.

[8]الشوارع الخلفية:ص13.

[9]المصدر السابق:ص14.

[10]الشوارع الخلفية:ص50.

[11]المصدر السابق:ص171.

[12]المصدر السابق:ص327.

[13]المصدر السابق:ص 87.

[14]المصدر السابق:ص 238.

[15]الشوارع الخلفية:ص 90.

[16]المصدر السابق:ص 85.

[17]المصدر السابق:ص 241.

[18]المصدر السابق:ص 484-485.

[19]الشوارع الخلفية:ص 427.

[20]المصدر السابق:ص 427.

[21]المصدر السابق:ص 26.

[22]المصدر السابق:ص 20.

[23]الشوارع الخلفية:ص 66.

[24]الشوارع الخلفية:ص 425.

[25]رواية الأرض: ص 10.

[26]رواية الأرض: ص 25-26.

[27]المصدر السابق: ص 109.

[28]المصدر السابق: ص 110.

[29]قلوب خالية: ص 208.

[30]قلوب خالية: ص 208.

[31]المصدر السابق- ص :220.

[32]الشوارع الخلفية: ص 171.

[33]الشوارع الخلفية: ص 221.

Al-Naz'a al-Insāniyya, Dirāsāt fī al-Naz'a al-Insāniyya fī al-Fikr al-'Arabī al-Wasīṭ, taḥrīr: 'Āṭif Aḥmad, Markaz al-Qāhira li-Dirāsāt Ḥuqūq al-Insān, al-Qāhira, Ṭab'a ṯāniya, 1999, ṣafḥa 60.
Al-Naz'a al-Insāniyya, Dirāsāt fī al-Naz'a al-Insāniyya fī al-Fikr al-'Arabī al-Wasīṭ, ṣ:35.
Mawsū'at Laland al-Falsafiyya, Andriy Laland, ta'rīb: Khalīl Aḥmad Khalīl, Manshūrāt 'Awaydāt, Bayrūt–Parīs, Ṭab'a ūlā, 1996, al-mujallad al-thānī, ṣafḥa 569.
Al-Naz'a al-Insāniyya fī al-Riwāya al-'Arabiyya wa-Banāt Jinsihā, Bahā' al-Dīn Muḥammad Mazīd, Dār al-'Ilm wa-al-Īmān li-al-Nashr wa-al-Tawzī', al-Iskandariyya, 2008, ṣafḥāt 54–55–56.
Riwāyat al-Arḍ, ṣ:23–44
Al-Maṣdar al-Sābiq, ṣ:49 wa mā ba'dahā.
Al-Maṣdar al-Sābiq, ṣ:63 wa mā ba'dahā.
Al-Shawāri' al-Khalfiyya, ṣ:13.
Al-Maṣdar al-Sābiq, ṣ:14.
Al-Shawāri' al-Khalfiyya, ṣ:50.
Al-Maṣdar al-Sābiq, ṣ:171.
Al-Maṣdar al-Sābiq, ṣ:327.
Al-Maṣdar al-Sābiq, ṣ:87.
Al-Maṣdar al-Sābiq, ṣ:238.
Al-Shawāri' al-Khalfiyya, ṣ:90.
Al-Maṣdar al-Sābiq, ṣ:85.
Al-Maṣdar al-Sābiq, ṣ:241.
Al-Maṣdar al-Sābiq, ṣ:484–485.
Al-Shawāri' al-Khalfiyya, ṣ:427.
Al-Maṣdar al-Sābiq, ṣ:427.
Al-Maṣdar al-Sābiq, ṣ:26.
Al-Maṣdar al-Sābiq, ṣ:20.
Al-Shawāri' al-Khalfiyya, ṣ:66.
Al-Shawāri' al-Khalfiyya, ṣ:425.
Riwāyat al-Arḍ, ṣ:10.
Riwāyat al-Arḍ, ṣ:25–26.
Al-Maṣdar al-Sābiq, ṣ:109.
Al-Maṣdar al-Sābiq, ṣ:110.
Qulūb Khāliya, ṣ:208.
Qulūb Khāliya, ṣ:208.
Al-Maṣdar al-Sābiq, ṣ:220.
Al-Shawāri' al-Khalfiyya, ṣ:171.
Al-Shawāri' al-Khalfiyya, ṣ:221.